سلسلة التسهيل لطالب علم التأصيل.. (٢)

اختِصَارُ شَرْحِ
القَوَاعِدِ الأَرْبَعَةِ

لفضيلة الشيخ

صَالِح بنُ فَوْزَان الفَوْزَان

حفظه الله

www.ajurry.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فهذا اختصار لشرح العلامة صالح بن فوزان الفوزان –حفظه الله– للقواعد الأربعة، قمنا بإعداده على شكل فوائد بدون إرفاقٍ للمتن؛ تيسيرًا لطالب العلم في مراجعة الشرح.

سائلين الله أن يتقبله منا بقبول حسن، وأن يوفقنا وإياكم لكل ما يحبه ويرضاه.. آمين.

*****

بسم الله الرحمن الرحيم

القواعد الأربع رسالة مستقلّة، ولكنها تُطبَع مع ((ثلاثة الأصول)) من أجل الحاجة إليها لتكون في متناوَل أيدي طلبة العلم.

القواعد: جمع قاعدة، والقاعدة هي: الأصل الذي يتفرّع عنه مسائلُ كثيرة، أو فروعٌ كثيرة.

ومضمون هذه القواعد الأربع التي ذكرها الشيخ –رحمه الله–: **معرفة التوحيد، ومعرفة الشرك، وما هي القاعدة في التوحيد؟ وما هي القاعدة في الشرك؟**

لأنّ كثيرًا من الناس يتخبّطون في هذين الأمرين، يتخبّطون في معنى التوحيد ما هو تعريفه؟ ويتخبّطون في معنى الشرك، كلٌّ يفسّره على حسَب هواه، والتوحيد أيضا كلٌّ يفسِّره على حسب هواه وميوله.

الفائدة من معرفة هذه القواعد الأربعة: إذا عرفت هذه القواعد وفهمتها سَهُلَ عليك بعد ذلك معرفة التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه ومعرفة الشرك الذي حذّر الله –تعالى– منه وبيّن خطره وضرره في الدنيا والآخرة.

وهذا أمرٌ مهمّ جدًّا، أَلْزَمُ عليك من معرفة أحكام الصلاة والزكاة والعبادات وسائر أمور الدين؛ هذا هو الأمر الأول والأساس؛ لأنّ الصلاة والزكاة والحج وغيرها من العبادات لا تصحّ إذا لم تُبْنَ على أصل العقيدة الصحيحة، العبادات لا تصح إلا إذا بُنِيَت على أصلٍ صحيح وهو التوحيد الخالص لله –عزّ وجل–.

الواجب أن نرجع في تقعيدنا إلى الكتاب والسنّة، ليكون هذا التقعيد تقعيدًا صحيحـــًا سليمـــًا مأخوذًا من كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم لاسيّما في الأمرين العظيمين؛ التوحيد والشرك.

في قوله –تعالى-: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ﴾[سورة النساء، الآية ١٧]، الجَهالة هنا ليس معناها عدم العلم؛ لأن الجاهل لا يؤاخَذ، لكن الجهالة هنا هي ضدّ الحِلْم والاتزان. كلّ مَنْ عصى الله فهو جاهل بمعنى أنه ناقص الحِلْم وناقص العقليّة والإنسانيّة، وقد يكون عالمـــًا لكنه جاهل من ناحية أخرى من ناحية أنه ليس عنده حِلم ولا ثبات في الأمور، ﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ﴾ يعني: كلّما أذنبوا استغفروا.

تأجيل التوبة أمر لا يجوز، لا ترك التوبة والقنوط من رحمة الله ولا تأجيل التوبة، حتى ولا إلى بعد ساعات؛ لأنك لا تدري تدرك الساعات أو ما تدركها، فبادر في لحظتك بالتوبة إلى الله والاستغفار.

الحنيف: هو المقبِل على الله المعرِض عمّا سواه، هذا هو الحنيف، المقبِل على الله بقلبه وأعماله ونيّاته ومقاصِده كلّها لله، المعرِض عمّا سوى الله –جل وعلا-.

إبراهيم هو أبو الأنبياء الذين جاءوا من بعده، كلّ الأنبياء الذين جاءوا بعد إبراهيم فإنهم من ذريّته، ولهذا قال الله- جلّ وعلا-: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾[سورة العنكبوت، الآية ٢٧]، كلهم من بني إسرائيل حفيد إبراهيم -عليه السلام-، ومن ذرية إسماعيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم. فكلّ الأنبياء من أبناء إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، من ذريته، تكريمـــًا له.

الحنيفيّة ملة الحنيف وهو إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-: أن تعبد الله مخلصـــًا له الدين.

لم يكتفِ المؤلِّف –رحمه الله- في تعريف الحنيفية بقول: (أن تعبد الله) فقط، بل قال: (مخلصـــًا له الدين) يعني: وتجتنب الشرك؛ لأنّ العبادة إذا خالطها الشرك بطلتْ، فسدت، فلا تكون عبادة إلاّ إذا

كانت سالَمَةً من الشرك الأكبر والأصغر؛ كما قال –تعالى–: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [سورة البيِّنة، الآية ٥] حنفاء: جمع حنيف، وهو : المخلِص لله –عزّ وجل–.

الحكمة من خلق الخلق: أنهم يعبدون الله –عزّ وجل– مخلِصين له الدين، منهم من امتثل ومنهم من لم يمتثل، لكن الحكمة من خلقهم هي هذه، فالذي يَعبُد غيرَ الله مخالِف للحكمة من خلق الخلق، ومخالِف للأمر وهو الشرع. قال –تعالى–: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾[سورة الذاريات، الآية ٥٦].

اتفقت الرسل في دعوتهم للتوحيد واختلفت في الشرائع، فكلّ الأنبياء دعوُا الناس إلى عبادة الله وترْك عبادة ما سواه، هذه دعوة الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾[سورة النحل، الآية ٣٥]. .

وأما الشرائع التي هي الأوامر والنواهي والحلال والحرام فهذه تختلف باختلاف الأمم حسب الحاجات، يشرع الله الشريعة ثم ينسخها بشريعة أخرى، إلى أنْ جاءت شريعة الإسلام فنسختْ جميع الشرائع وبقِيَتْ هي إلى أنْ تقوم السّاعة.

أما أصل دين الأنبياء –وهو التوحيد– فهو لم يُنسَخ أبدا ولا يُنسخ، دينهم واحد وهو دين الإسلام بمعنى: الإخلاص لله بالتوحيد. أما الشرائع قد تختلف، تُنسخ، لكن التوحيد والعقيدة هذه واحدة من آدم إلى آخر الأنبياء، كلهم يدعون إلى التوحيد وإلى عبادة الله.

من رحمة الله أنه أمرك بعبادته من أجل مصلحتك، لأنّك إذا عبدتّه فإنه –سبحانه وتعالى– يُكرِمُك بالجزاء والثواب. فالعبادة سببٌ لإكرام الله لك في الدنيا والآخرة، أما الله –جلّ وعلا– فإنّه غنيّ عن خلقه ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾.

العبادة لا تكون صحيحة يرضاها الله –سبحانه وتعالى– إلا إذا توفّر فيها شرطان، هما:

الشرط الأوّل: أنْ تكون خالِصة لوجه الله، ليس فيها شرك، خالصة من الشرك، فإنْ خالطها شركٌ بطلتْ.

مثْل الطهارة، الوضوء، إذا تطهرت توضأت ثم أحدثت؛ بطلت الطهارة. كذلك إذا عبدت الله ثم أشركت به بطلت عبادتك. هذا الشرط الأوّل: الإخلاص لله، وهو السلامة من الشرك.

الشرط الثاني: المتابَعة للرسول صلى الله عليه وسلم، فأيّ عبادة لم يأتِ بها الرسول فإنّها باطلة ومردودة، لأنّها بدعة وخُرافة، قال صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ عمِل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو رَدّ))[1]، وفي رواية : ((مَنْ أحدَث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدّ))[2]، فلا بدّ أنْ تكون العبادة موافِقة لِمَا جاء به الرّسول صلى الله عليه وسلم، لا باستحسانات الناس ونيّاتاهم ومقاصدهم، ما دام أنها لم يدلّ عليها دليل من الشرع فهي بدعة، ولا تنفع صاحبها بل تضرّه؛ لأنها معصية وإنْ زعم أنه يتقرّب بها إلى الله –عزّ وجل– .

يقول الله –تعالى– : ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[سورة النساء، الآية ٥٩]، **أولوا الأمر هم:** الأمراء والعلماء، فإذا أطاعوا الله وجبتْ طاعتهم واتّباعهم، أما إذا خالفوا أمر الله فإنها لا تجوز طاعتهم ولا اتّباعُهم فيما خالفوا فيه؛ لأنّه ليس هناك أحدٌ يُطاع استقلالاً من الخلق إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما عداه فإنّه يُطاع ويُتّبَع إذا أطاع الرّسول صلى الله عليه وسلم واتّبَع الرسول، هذه هي العبادة الصحيحة.

---

[1]) مسلم، كتاب الأقضية، باب: نقض الأحاكم الباطلة ورد محدثات الامور.

[2]) مسلم، كتاب الأقضية، باب: نقض الأحاكم الباطلة ورد محدثات الامور.

الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةِ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ، مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ؛ لهذا فإِنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ ؛ لأنّ الذي لا يعرف الشيء يقع فيه. فلا بدّ أنك تعرف أنواع الشرك من أجل أن تتجنّبها، لأنّ الله حذّر من الشرك وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [سورة النساء، الآية ١١٦]، فهذا الشرك الذي هذا خطرُه، وهو أنه يَحْرِمُ من الجنّة ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾[سورة المائدة، الآية ٧٢]، ويَحْرِمُ من المغفرة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾.

الشرك ضلّت فيه أفهامٌ وعُقولٌ، فيجب أن نعرف ما هو الشرك من الكتاب والسنة، والله ما حذّر من شيء إلا ويبيِّنُه، وما أمَر بشيء إلا ويُبيّنه للناس، فهو لن يحرِّم الشرك ويتركه مجمَلًا، بل بيّنه في القرآن العظيم وبيّنه الرسول صلى الله عليه وسلم في السنّة، بيانـــًا شافيـــًا.

القاعدة الأولى من القواعد الأربعة: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ –تَعَالَى–هُوَ الْخَالِقُ، الْمُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلَهُمْ فِي الإِسْلامِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [سورة يونس، الآية ٣١].

فالتوحيد ليس هو الإقرار بالربوبيّة فقط، وأنّ الشرك ليس هو الشرك في الربوبيّة فقط، بل ليس هناك أحدٌ أشرك في الربوبيّة إلا شواذّ من الخلق، وإلاّ فكل الأمم تُقِرّ بتوحيد الربوبية.

توحيد الربوبية هو: الإقرار بأنّ الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبّر، أو بعبارة أخصر: توحيد الربوبية هو : إفراد الله –تعالى– بأفعاله –سبحانه وتعالى– . وهذا ليس هو التوحيد الذي بعث الله به الرسل، والإقرار بهذا وحده لا ينفع صاحبه.

مما يُرَدُّ به على الذين يقولون: (الشرك هو أن تعتقد أنّ أحدًا يخلُق مع الله أو يرزق مع الله): أن هذا ما قاله أبو جهل وأبو لهب، ما قالوا أن أحدًا يخلُق مع الله ويرزُق مع الله، بل هم مقرّون بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، فهذا أقرّ به المشركون وصناديد الكَفَرة، ولم يُخرجهم من الكفر، ولم يُدخلهم في الإسلام، فهذا غلطٌ عظيم، فمن اعتقد هذا الاعتقاد ما زاد على اعتقاد أبي جهل وأبي لهب.

القاعدة الثانية من القواعد الأربعة: أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ، فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

أقسام الشفاعة: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ.

الشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللهِ فِيمَا لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلا اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤].

الشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ، وَالشَّافِعُ مُكَرَّمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالْمَشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

المشركين الذين سمّاهم الله مشركين وحكم عليهم بالخُلود في النار، لم يشركوا في الربوبيّة وإنما أشركوا في الألوهية، المشركين الذين سمّاهم الله مشركين وحكم عليهم بالخُلود في النار، لم يشركوا في توحيد الربوبيّة وإنما أشركوا في توحيد الألوهية، فهم لا يقولون إنّ آلهتهم تخلُق وترزُق مع الله، وأنهم

ينفعون أو يضرّون أو يدبّرون مع الله، وإنما اتخذناهم شفعاء، نعلم أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت ولكن اتخذنا هؤلاء شفعاء وسائط بيننا وبين الله ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[سورة يونس، الآية ١٨]، ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ هم معترفون بهذا؛ إنهم لا ينفعون ولا يضرّون، وإنما اتّخذوهم شفعاء، يعني: وُسطاء عند الله في قضاء حوائجهم، يذبحون لهم، وينذُرون لهم، ويركعون لهم، لا لأنّهم يخلقون أو يرزقون أو ينفعون أو يضرّون في اعتقادهم، وإنما لأنهم يتوسّطون لهم عند الله، ويشفعون عند الله، هذه عقيدة المشركين.

الشفاعة التي هي حقّ وصحيحة هي ما توفّر فيها شرْطان:

الشرط الأوّل: أن تكون بإذن الله ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[سورة البقرة، الآية ٢٥٥].

والشرط الثاني: أن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[سورة الأنبياء، الآية ٢٨] وهم عُصاة الموحّدين.

فإنِ اختلّ شرطٌ من الشرطين فالشفاعة باطلة، فالكفّار والمشركون فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[سورة غافر، الآية ١٨.

االشفاعة شفاعتان:

الشفاعة المنفية: وهي التي تطلب بغير إذن الله، أو تطلب لمشرك.

الشفاعة المثبتة: وهي التي تكون بعد إذن الله، ولأهل التوحيد.

القاعدة الثالثة من القواعد الأربعة: أَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–ظَهَرَ عَلَى أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَشْجَارَ وَالأَحْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه ﴾ [الأنفال: ٣٩].

من سلبيّات الشرك وأباطيله: أنّ أهله متفرّقون في عباداتهم لا يجمعهم ضابط، لأنّهم لا يسيرون على أصل، وإنّما يسيرون على أهوائهم ودعايات المضلّلين، فتكثُر تفرّقاتهم، ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[سورة الزمر، الآية ٢٩].

النصارى يعبدون المسيح،، والمسيح رسول الله، ومع هذا قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، واليهود يعبدون عُزيرًا، ويعبدون فلان وفلان من أنبيائهم، قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يفرِّق بينهم.

فالشرك لا تفريق فيه بين مَنْ يعبُد رجلاً صالحـًا أو يعبُد صنمـًا أو حجرًا أو شجرًا، لا يوجد تفريق، الشرك هو عبادة غير الله كائنـًا مَنْ كان، ولهذا يقول: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾[سورة النساء، الآية ٣٦]، كلمة ﴿شَيۡـٔٗاۖ﴾ في سياق النهي تعمّ كلّ شيء، تعمّ كل مَنْ أُشرك مع الله –عز وجل–من الملائكة والرسل والصالحين والأولياء، والأحجار والأشجار .. إلخ.

يُرَدُّ على الذين يزعمون أنّ الشرك مقصورٌ على عبادة الأصنام فقط: أن هذا من المغالَطة الواضحة من ناحيتين:

الناحية الأولى: أنّ الله –جلّ وعلا– في القرآن أنكر على الجميع، وأمر بقتال الجميع.

الناحية الثانية: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يفرِّق بين عابِدِ صنمٍ وعابِد ملَك أو رجلٍ صالح.

أمر الله بقتال المشركين عمومًا و لم يستثنِ منهم أحد، فقال –جل وعلا–: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ﴾ الضمير يرجع إلى المشركين، و لم يخص مشركًا دون مشرك، هذا عامّ لكل المشركين، لم يستثنِ أحدًا.

المقصود من مشروعية الجهاد في سبيل الله؟

١- إعلاء كلمة الله.

٢- ونشر التوحيد في الأرض.

٣- والقضاء على الشرك والمشركين، حتى تطهر الأرض من شركهم ووثنيتهم وتعود العبادة لمستحقها الذي خلق الخلق من أجلها وقال: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾، ويكون الدين كله لله، ليس لأحد فيه اشتراك، لا الأصنام ولا الأشجار ولا الأحجار ولا الأولياء ولا الملائكة ولا الرسل ولا غيرهم كائنًا من كان.

قتال الدفاع: عندما يضعف المسلمون أو يُغزَون في بلادهم؛ فحينئذ تجب المدافعة.

جهاد الطلب: إذا قوي المسلمون وصار لهم شوكة؛ فإنه يجب عليهم أن يغزوا الكفار في بلادهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٧]. دلّ على أنّ هناك مَن يسجُد للشمس والقمر.

نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها سدًّا للذريعة، لأن المشركين يسجدون لها في ذلك الوقت، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يتشبّهوا بهم، وهذا من سدّ وسائل الشرك، لأن التشبه يؤدي إلى مشاركة المتشبَّه به في أخلاقه وعبادته.

فنُهينا أنْ نصليَ في هذين الوقتين وإنْ كانت الصلاة لله و لم يخطر على باله يصلي أويتعلق بالقمر أو بالشمس وإنما يصلي لله، لكن لَمّا كان في هذا الفعل مشابَهَةً لفعل المشركين مُنِعَ من ذلك سدًّا للذريعة التي تُفضي إلى الشرك، لألا يأتي من بعد مَن يقول: هذا يصلي من أجل الشمس أو القمر، ثم يذهب ويعبد الشمس والقمر. الرسول صلى الله عليه وسلم جاء بالنهي عن الشرك وسدّ ذرائعه المفضية إليه.

نردُّ على عبّاد القبور الذين يقولون: الذي يعبد الملائكة والنبيّين والصالحين ليس بكافر: أنّ والله – تعالى– يقول:﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ﴾ الآية [آل عمران: ٨٠] فهذا تعميمٌ، وقال –تعالى– بعدها: ﴿أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ﴾ دلّ على أنّ مَنْ عَبد الملائكة والنبيّين أنه كافر.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ الآية [المائدة: ١١٦] هذا فيه دليل على أن عبادة الأنبياء شرك مثل عبادة الأصنام. ففيه ردٌّ على من فرّق في ذلك من عبّاد القبور.

الذي أدخل عبادة المسيح وعبادة الصليب والوثنيات في دين النصارى هو رجلٌ يهودي اسمه بولس.

الذين يقولون الآن إنهم مسيحيون كَذَبَةٌ، ليسوا مسيحيين، هؤلاء نصارى، أما تسميهم بالمسيحيين أو تسمي اليهود بالإسرائيليين، هذه كلها تسمية باطلة. فاليهود يسمَّون اليهود؛ لأن إسرائيل هو نبي

الله يعقوب –عليه السلام–، والمسيحيون هم أتباع المسيح على التوحيد وعلى العقيدة، أما هؤلاء مشركون، ما يقال لهم مسيحيون، يقال لهم النصارى، كما سماهم الله –سبحانه وتعالى–.

الدليل على أنّ هناك مَن عبد الصالحين من البشر وأنه كفر: قوله –تعالى– : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ قيل: نزلت هذه الآية فيمن يعبد المسيح وأمّه وعُزيرًا، فأخبر –سبحانه– أنّ هؤلاء المسيح، وأمه مريم، وعُزيرًا ، أنهم كلهم عبادٌ لله، يتقرّبون إلى الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه، فهم عبادٌ محتاجون إلى الله مفتقرون إليه يدعونه ويتوسّلون إليه بالطّاعة ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ يعني: القُرب منه –سبحانه– بطاعته وعبادته، فدلّ على أنهم لا يصلُحون للعبادة؛ لأنّهم بشرٌ محتاجون فقراء، يدعون الله، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه، ومَن كان كذلك لا يصلُح أن يُعبَد مع الله –عز وجل–.

والقول الثاني: أنها نزلت في أُناسٍ من المشركين كانوا يعبدون نفَرًا من الجن، فأسلم الجن و لم يعلم هؤلاء الذين يعبدونهم بإسلامهم، أسلم الجن المعبودون وصاروا يتقرّبون إلى الله بالطاعة والضَّراعة ويرجون رحمته ويخافون عذابه، فهم عبادٌ محتاجون فقراء لا يصلُحون للعبادة.

وأيـــًّا كان المراد بالآية الكريمة فإنّها تدلّ على أنه لا يجوز عبادة الصالحين، سواءً كانوا من الأنبياء والصدِّيقين– لأن مريم صدِّيقة كما قال الله تعالى: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ﴾[سورة المائدة، الآية ٣٥]فمريم صدِّيقة– فلا يجوز عبادة الأنبياء والصدِّيقين، وعلى التفسير الثاني الصالحين لا تجوز عبادة الصاحلين، لأنّ الكُل عبادٌ لله فقراء إليه، فكيف يُعبدون مع الله –جلّ وعلا–؟

الوسيلة معناها: الطاعة والقُرب، والوسيلة في اللغة: الشيء الذي يوصِّل إلى المقصود. فالذي يوصِّل إلى رضى الله وجنّته هو الطاع. وسُمِّيتْ وسيلة لأنها تقرّب إلى الله –جل وعلا– وتوصِّل إلى جنته، فهي

وسيلة سبب للوصول إلى الله وإلى جنته –سبحانه وتعالى–. وهذه هي الوسيلة المشروعة في قوله تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾[المائدة:٣٥] .

المحرِّفون المخرِّفون فيقولون: الوسيلة هي أنْ تجعل بينك وبين الله واسطة من الأولياء والصالحين والأموات، تجعلهم واسطة بينك وبين الله ليقرِّبوك إلى الله، تُعرِّف الله بك، وتَنقُل له حاجاتك، وتُخبِره عنك، كأنّ الله –جلّ وعلا– لا يعلم، أو كأن الله –جلّ وعلا– بخيل لا يعطي إلاّ بعد ما يُلَحّ عليه بالوسائط –تعالى الله عمّا يقولون–، هذه هي الوسيلة في نظر هؤلاء ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[الزمر: ٣].

ويشبّهون على النّاس ويقولون: الله –جلّ وعلا– يقول: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ فدلّ على أنّ اتّخاذ الوسائط من الخلق إلى الله أمرٌ مشروع لأنّ الله أثنى على أهله، وفي الآية الأخرى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾[سورة مائدة، الآية ٣٥]، قالوا: إن الله أمرنا أن نتّخذ الوسيلة إلى الله، والوسيلة معناها: الواسطة، هكذا يحرّفون الكَلِم عن مواضعه.

الله –عز وجل– لم يجعل الشرك وسيلة إليه أبدًا، وإنما الشرك مُبْعِدٌ عن الله – سبحانه وتعالى–: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾[المائدة: ٧٢]، فكيف يُجعل الشرك وسيلة إلى الله؟!

الوسيلة المشروعة في القرآن وفي السنة: هي الطاعة التي تقرِّب إلى الله، والعبادة والتوحيد، والتوسُّل إليه بأسمائه وصفاته –سبحانه وتعالى–.

الدليل على أنّ هناك مَن يعبد الأحجار والأشجار قوله –تعالى–: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ وهذا استفهام إنكار، أي: أخبروني، من باب استفهام الإنكار والتوبيخ.

﴿ ٱللَّٰتَ ﴾ –بتخفيف التاء–: اسمُ صنمٍ في الطائف، وهو عبارة عن صخرة منقوشة، عليها بيتٌ مبني، وعليه ستائر، يضاهي الكعبة، وحوله ساحة، وعنده سَدَنَة، كانوا يعبدونها من دون الله –عزّ وجل –، وهي لثقيف وما والاهم من القبائل، يفاخِرون بها .

وقُرئ: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّاتَّ ﴾ –بتشديد التاء–: اسم فاعل من (لَتَّ يَلُتُّ)، وهو: رجلٌ صالح كان يلُتُّ السَّويق ويُطعمه للحُجّاج، فلمّا مات بنوا على قبره بيتـــًا، وأرْخوا عليه الستائر، فصاروا يعبدونه من دون الله – عزّ وجل–.

العزّى: شجرات من السَّلَم في وادي نخلة بين مكّة والطائف، حَوْلَها بناء وستائر، وعندها سَدَنة، وفيها جن؛ شياطين يكلّمون الناس، ويظنّ الجهّال أنّ هذا الذي يكلّمهم هو نفس هذه الشجرات أو هذا البيت الذي بنَوه، مع أنّ الذي تكلّمهم هي الشياطين لتضلّهم عن سبيل الله، وكان هذا الصنم لقريش وأهل مكّة ومَن حولهم.

مناة: صخرة كبيرة في مكان يقع قريبـــًا من جبل قُديد، بين مكّة والمدينة، وكانتْ لخُزاعة والأوس والخزْرج، وكانوا يحرِمون من عندها بالحج، ويعبدونها من دون الله .

الدليل من السنة على أنّ هناك مَن يعبد الأشجار ويتبرّك بها ويعكُف عندها: حَدِيث أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ،

وَلِلمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ، يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيُنَوِّطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالَ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. الحَدِيثَ[1].

العكوف: البقاء عندها مدّة تقرُّبــًا إليها. فالعُكوف هو : البقاء في المكان .

الأنواط: جمع نوط، وهو: التعليق، أي: ذاتُ تعاليق، يعلِّقون بها أسلحتهم للتبرّك بها.

بنوا إسرائيل لَمّا قالوا ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ لم يُشركوا؛ لأنّهم لم يفعلوا، ولو نفَّذوا هذا الطلب لأشركوا. وكذلك هؤلاء الصحابة لو اتّخذوا ذات أنواط لأشركوا، ولكنّ الله حماهم، لَمّا نهاهم نبيّهم انتهَوا، وقالوا هذه المقالة عن جهل، ما قالوها عن تعمُّد، فلمّا علِموا أنها شرك انتهَوا و لم ينفِّذوا.

دلّ حديث أبي واقد –رضي الله عنه– على مسائل عظيمة :

المسألة الأولى: خطر الجهل بالتوحيد، فإنْ مَنْ كان يجهلُ التوحيد حَرِيٌّ أنْ يقع في الشرك وهو لا يدري، ومن هنا يجب تعلُّم التوحيد، وتعلُّم ما يضادّه من الشرك حتى يكون الإنسان على بصيرة لئلا يُؤتى من جهله.

ثانيــًا: في الحديث خطرُ التشبُّه بالمشركين، وأنّه قد يؤدِّي إلى الشرك، قال صلى الله عليه وسلم: ((مَن تشبّه بقومٍ فهو منهم))[2]، فلا يجوز التشبُّه بالمشركين .

المسألة الثالثة: أنّ التبرُّك بالأحجار والأشجار والأبنية شركٌ وإنْ سُمِّي بغير اسمه، لأنه طلب البركة من غير الله من الأحجار والأشجار والقُبور والأضرحة.

---

[1]) الترمذي، كتاب الفتن ، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم. وأحمد (٢١٨١٥). صححه الألباني في صحيح الترمذي.

[2]) أبو داود، كتاب اللباس، باب: في لبس الشهرة. صححه الألباني في صحيح الجامع.

القاعدة الرابعة من القواعد الأربعة: أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانَنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ، لأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانَنَا شِرْكُهُمْ دَائِمٌ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

فالمشركين الأولين يشركون في الرخاء، ويُخلصون لله إذا اشتدّ بهم الأمر، فلا يدعون غير الله –عز وجل–لعلمهم أنّه لا يُنقِذ من الشدائد إلاّ الله؛ كما قال –تعالى–: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾[سورة الإسراء، الآية ٦٧]

أما مشركوا هذا الزمان؛ يعني: المتأخّرين الذين حدث فيهم الشرك من هذه الأمّة المحمديّة، فإنّ شركهم دائمٌ في الرخاء والشدّة، لا يُخلصون لله ولا في حالة الشدّة، بل كلما اشتدّ بهم الأمر اشتدّ شركهم ونداؤهم للحسن والحسين وعبد القادر والرِّفاعي وغير ذلك.

وأيضـــًا الأوّلين يعبدون أُناســـًا صالحين من الملائكة والأنبياء والأولياء، أما المتأخرين فيعبدون أُناســـًا من أفجر الناس، وهم يعترفون بذلك.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

*****